الأهرام

المصدر: الاتحاد

التاريخ: ١ مارس ٢٠٠٣

عن حسابات الموقف الروسي من الأزمة العراقية

مهمة اللحظة الأخيرة التي قام بها يفجيني بريماكوف رئيس وزراء روسيا السابق والخبير في الشؤون العربية وذو العلاقات الواسعة في العالم العربي منذ كان صحفياً والقريب جداً من الرئيس فلاديمير بوتين، مهمة تذكر بتلك التي قام بها أيضاً عام 1990 عشية عملية «عاصفة الصحراء» بتكليف من الرئيس جورباتشوف حينذاك. من وجهة نظر موسكو، تحمل تلك الزيارة مؤشرين مهمين أولهما أن الأزمة وصلت إلى مرحلة ربع الساعة الأخيرة قبل الانفجار، والثاني أن موسكو ترمي بثقلها كلياً في محاولة أخيرة لاحتواء الأزمة ومنع الحرب.

والجدير بالذكر أن موسكو اتبعت في إدارة الأزمة العراقية موقفاً يمكن وصفه بالمشي على حبل مشدود، الأمر الذي يتطلب أعلى درجات التوازن خوفاً من السقوط. فموسكو اصطفت مع الثنائي الفرنسي-الألماني مع ابقاء الجسور مفتوحة وسالكة بشكل ناشط مع الولايات المتحدة، وإذ كانت موسكو جزءاً من الموقف الثلاثي في البيان الذي صدرخلال زيارة الرئيس بوتين إلى فرنسا ثم في شأن «المذكرة» الفرنسية-الألمانية التي أعلن عنها الرئيس الفرنسي بعد لقائه بالمستشار شرودر مساء يوم الاثنين، إلا أنها تحاول دائماً أن تكون في «ظل» الموقف الفرنسي-الألماني وليس في مقدمته، مؤيدة وغير مبادرة في بلورة موقف ينظر إليه أياً كانت التعبيرات الدبلوماسية، على أنه موقف مواجه وبديل للموقف الأميركي-البريطاني. ولا تريد موسكو أن تظهر وكأنها جزء من محور دولي مواجه للمحور الأميركي. عناصر عدة تحكم الموقف الروسي وكل من هذه العناصر بشكل أو بآخر متأثر بموقف كل من المحورين المتواجهين. أولاً تعتبر موسكو أن الأولوية المطلقة يجب أن تعطى لمكافحة الإرهاب الدولي وليس لمحاربة «محور الشر» الذي يضم أصدقاء تقليديين لها استمرت العلاقة الخاصة بهم ولو ضعفت بعض الشيء من العهد السوفييتي إلى العهد الروسي. فهاجس الإرهاب الذي تحت عنوانه تتعاطى موسكو مع المسألة الشيشانية وتنظر من خلاله إلى انتشار الأصولية الإسلامية في روسيا وفي آسيا يضع موسكو أمام خيارين كل منهما يعكس قراءة معينة لكيفية التعامل مع الإرهاب.

القراءة الأولى تقول بالابتعاد عن الحل العسكري للمسألة العراقية لأن ذلك سيؤدي إلى إعطاء زخم قوي للإرهاب الأصولي ويعرقل بناء تحالف دولي ضد الإرهاب، والرأي الآخر يعتبر أن الاصطفاف مع واشنطن وعقد صفقة معها هو المدخل العملي والأفضل لمحاربة الإرهاب. وهناك تقارير تفيد توصل موسكو إلى صفقة مع واشنطن بهذا الشأن مدخلها وضع واشنطن لثلاث منظمات شيشانية على لائحة الإرهابيين مما يقوي منطق موسكو ويعطيها ضوءاً أخضراً أميركياً في تعاملها مع المسألة الشيشانية.

ثانياً هناك عدم ارتياح وقلق روسي وهو جزء من قلق دولي تجاه خطاب «المحافظين الجدد» في الولايات المتحدة. وكان الرئيس بوتين أشار في كلمة ألقاها في مناسبة يوم القوات المسلحة إلى «تزايد

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

د. ناصيف حتي

كاتب سياسي - لبنان

تحاول موسكو دائماً أن تكون في «ظل» الموقف الفرنسي الألماني وليس في مقدمته، مؤيدة وغير مبادرة في بلورة موقف ينظر إليه على أنه مواجه وبديل للموقف الأميركي- البريطاني.

عدوانية قوى متنفذة جداً في بعض بلدان العالم». لكن هنالك بعض الأوساط المؤثرة في صناعة القرار في موسكو التي تعتبر أنه يمكن الاستفادة من المواقف المتطرفة للمحافظين الجدد وخلطهم الكلي بين الإرهاب وحركات التحرر الوطنية والتيارات الاسلاموية على أنواعها كافة، لاطلاق يد موسكو في سياسة القبضة الحديدية تجاه المسألة الشيشانية أيضاً. ثالثاً هناك قلق من المسألة النفطية باعتبار أن العراق يحتوي على ثاني احتياطي للنفط في العالم وأن لموسكو مصالح تجارية نفطية مباشرة في العراق وأن سيطرة واشنطن على النفط العراقي تسمح لها بالسيطرة بشكل كبير على اقتصاد النفط، والنفط يبقى رافعة التنمية الاقتصادية لروسيا، الأمر الذي يقلق موسكو ويدفعها إلى محاولة الحصول على ضمانات مسبقة من واشنطن بشأن موقع موسكو مستقبلاً في مسألة النفط العراقي.

ويبدو أن هنالك تفهماً أميركياً لمصدر القلق الروسي في هذا المجال، وأن واشنطن تعمل على حفظ مصالح روسيا المستقبلية.

وفي هذا الصدد يقول السفير الأميركي في موسكو إن بلاده «ضمنت لروسيا أنه سيتم أخذ مصالحها الاقتصادية بالاعتبار في العراق ما بعد صدام». رابعاً، على رغم الانقسامات الأوروبية الحادة فإن موسكو مهتمة بتعزيز علاقات الشراكة الاستراتيجية مع الاتحاد الأوروبي وبشكل خاص عبر البوابة التقليدية الفرنسية لأن ذلك يخدم مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية باعتبار أن أوروبا قوية قادرة على أن تشكل قطباً دولياً يدفع في دعم منطق التعددية القطبية الذي تتطلع موسكو إلى تعزيزه.

وتبدي موسكو قلقاً خاصاً من موقف دول أوروبا الشرقية والوسطى في المسألة

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

العراقية إذ جاء هذا الموقف داعماً بشكل تلقائي وكلي للموقف الأميركي. وتعتبر موسكو ذلك بمثابة درس مستقبلي لما يمكن أن تكون عليه مواقف هذه الدول «السوفييتية سابقاً» في حال وجود خلافات أميركية-روسية في المسرح الاستراتيجي الأوروبي. لكن الانقسام والتشرذم الأوروبي لا يشجع موسكو على الذهاب بعيداً في انضمامها للموقف الفرنسي-الألماني. وخامساً، هنالك قلق روسي يتخطى المسألة العراقية ليطال مستقبل النظام الدولي الذي يتشكل فيما لو انتصر منطق الأحادية الأميركية الحادة في تسوية المسألة العراقية إذ أن ذلك يهدد التوازنات الدولية والإقليمية القائمة ويهدد بالتالي موقع موسكو على المسرح الجيوستراتيجي الدولي، والرئيس بوتين في المناسبة ذاتها المشار إليها سابقاً أبدى قلقه من «أن توازن القوى مختل في شكل واضح» ومن «تراجع دور المؤسسات الدولية المكلفة بالأمن وتسوية النزاعات» وتحدث عن ضرورة إيجاد بناء جديد للأمن الدولي.

خلاصة الأمر أن موسكو ستستمر في تشجيع سياسة التسوية السلمية للمسألة العراقية حتى اللحظة الأخيرة محافظة على مسافة واضحة من الموقف الأميركي لكن دون أن يتسم الخطاب الروسي بالحدة أو دون أن تتسم السياسة الروسية بالنشاط اللذين تتسم بهما السياسة الفرنسية أو الألمانية لتلافي حصول تداعيات مستقبلية على العلاقات الأميركية-الروسية التي على رغم كل شيء تحظى في الزمن الراهن بالأولوية لدى روسيا.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية